حركة الزنج بالعراق (255-270هـ)

د. الصادق عبد الرسول مهدي*

ملخص البحث:

إن الهدف من البحث إبراز بعض الجوانب التي لم يتناولها الباحثون واتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي. هذا البحث يتناول حركة الزنج التي قامت في الربع الثالث من القرن الثالث الهجري (255 – 270 هـ) في منطقة البطائح بالبصرة بأرض العراق، وقد بينت فيه طبيعة الحركة وأسبابها وشخصية قائدها، وفترة الإعداد لها وبدايتها وكيفية الاستعانة بالزنج وجغرافية منطقة الحركة والمراحل التي مرت بها حركة الزنج، وكيف استطاعت الدولة العباسية القضاء على هذه الحركة.

ومن خلال البحث اتضح أن الدعوة إلى الحركة لم تكن موجهة إلى الزنج، وإنما وجهت إلى العامة سبع سنوات (249 – 255هـ)، وأن صاحب الدعوة علي بن محمد كان رجلاً مغامراً على جانب كبير من الذكاء، انتبه إلى التفاوت الطبقي في المجتمع وانحلال الأخلاق، وضعف الحياة السياسية في الدولة العباسية وتغلب الأتراك على شئون الدولة، فرأى أن الحياة حوله مغامرات لا تنتهي، فهداه ذكاءه أن يستغل هذه الأوضاع لمصلحته ليجد لنفسه مكاناً في التاريخ، فدعا لثورته بين العامة، ورأى أن الناس لا تعطى الحق في الحركة إلا للعلويين وأن صلاحهم لا يكون إلا على يد علويه لذلك أدعى النسب العلوى لتأخذ حركة صيغة دينية، ولم تلتف حوله سوى فئة قليلة من العلويين لا تمكنه من القيام بالحركة، لذلك انتهز علي بن محمد

* أستاذ مشارك جامعة بحرى

(صاحب الزنج) سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للعبيد الزنج العاملين في استصلاح الأراضي بمنطقة البطائح بالعراق، الذين أرهقهم العمل الشاق تحت لفح الشمس وضرب السياط وسوء التغذية جعلهم مهيئين للالتفاف حول من يعدهم بتحسين أوضاعهم، وأن النسب العلوي الذي ادعاه لا يتفق مع مزاج الزنج فترك الانتساب إلى العلويين واعتنق مذهب الخوارج، إن ألد أعداء الشيعة والقائم على توليه الخلافة لا فضل المسلمين ولو كان عبداً حبشياً، فهذا المذهب يعجب العبيد السود ويتفق مع مزاجهم، كما أدى أنه مبعوث العناية الإلهية لتحريرهم وتمليكهم العبيد والأموال، مما جعلهم يتلفون حوله ويناصروه.

ظلت حركة الزنج أربعة عشر عاماً من 255 إلى 270 هـ ونجح الزنج خلالها من تكوين دولة متكاملة لها عاصمتها المختارة ومدنها وولاتها .

واستطاعت أن تقلق الدولة العباسية وتنتصر على جيوشها، ولم يكتب النصر للعباسيين إلا بعد أن تلى الموقف أخو الخليفة العباسي المعتمد على الله قيادة الجيش العباسي، وتكبدت الدولة العباسية في سبيل القضاء على حركة الزنج الكثير من الأموال والرجال .

Abstract

The study investigates the Zung Revolt (a Negro or Black peoples' Revolt) which took place in the third quarter of the Higri Century (255- 270) in the area of Bataaih at Basra region of Iraq. The study explains the nature of the revolt, its causes, and the personality of its leader in addition to the pre-revolt period, how it began and its stages, how it was underrated, the geography of the area, and eventually how it was eradicated by the Abbasid State. The study reveals that the call for revolution was not exclusively directed to the Zung but to all the commoners for seven years (249- 255 H); its leader Ali bin Mohammed was an adventurer of outstanding cleverness who was able to perceive the obvious class disparities between people, the communal immoralities, the weakness of politics of the Abbasids, and the Turkish powerful influence on the governance of the state. For Ali, life around him was full of unlimited adventures for which his intelligence gave him guidance to manipulate and make history for himself; therefore, he called for revolt among the common people and claimed to be descended from the Alwite family to win religious support, thus exploiting the believe that they were the only peoples who could call for reform and that this reform could not happen except by a member of their descent. Only a handful of Alwites joined his cause, an a mount insufficient to make a successful revolt, therefore, he exploited the bad social and economic conditions of the Zung, who were enslaved as farm workers in Al-Bataaih agricultural reforms, to join his revolt on promises of improving their conditions after abandoning his proclaimed descent of Al-wites (the Shia sect in Islam) to that of the Muntinies. As a result of his new orientation, that supported even an Abyssinian black to be free and own money or even slaves, Bin Mohammed won the support of Zung as one send by divine providence. The revolt continued for fourteen years (255-270) in which the Zung were

able to establish their own government with its capital, towns and provinces. The Zung were able to cause worries and concern with the Abbasid State and won battles against it; however, only after the brother of the Caliph took control of the army command was the revolt beaten whereupon the Abbasids lost a lot of men and money to eradicate the revolt.

الحالة أحوال الدولة العباسية قبل حركة الزنج

الحالة السياسية:

شهدت الدولة العباسية في عصرها الثاني الذي يبدأ منذ عام 232 هـ سلسلة من الخلفاء الضعفاء، وكان لذلك أثره في إزدياد وتعاظم نفوذ الترك حتى سمي بعصر نفوذ الأتراك([1]). الذين سيطروا على موارد الدولة وأصبح الخلفاء ألعوبة في أيديهم، وبقائهم في مناصبهم مرهون برضا الأتراك فمن رضوا عنه أبقوه ومن خالفهم عزلوه أو قتلوه، وانتهز أعداء الدولة العباسية هذا الوضع فقام العلويون بعدة ثورات حتى استطاع الحسن بن زيد أن يؤسس الدولة الزيدية في طبرستان، وكذلك قام الروم بعدة غارات بريه وبحرية على أطراف الدولة العباسية، كما انتهزت الأقليات الخاضعة للدولة العباسية الفرصة، فتمرد البطارقة في أرمينيا، وثار الصقالية، واغتنم بعض المغامرين والانتهازيين الفرصة لاكتساب منصب أو جمع ثروة وكان منهم صاحب الزنج ([2]) .

الحالة الاجتماعية:

كان المجتمع العباسي آنذاك يتكون من خليط من الجنسيات (الأتراك – الروم – الفرس – القبط – الرقيق وعرب وغيرهم) ولكل منها مميزاتها ومزاجها، وكلها تتصارع وتتنافس من أجل الكسب المادي والمعنوي، وأصبح التمايز بين هذه الطبقات ليس على أساس الجنس، وإنما على أساس الثروة والغني ولذلك أصبح هنالك أغنياء وفقراء من كل جنس،كما شهد القرن الثالث

([1])الأتراك: هم العبيد المجلوبون من إقليم فيما وراء النهر (خلف نهر سيحون) – محمد فضل: تاريخ الدولة العباسية، القاهرة: مكتبة وصفي، 1983م، ص17 .

([2]) نفس المرجع ص 17

الهجري تحولاً في المجتمع الإسلامي من مجتمع زراعي إلى تجاري،وساعد على ذلك ظهور التباين الكبير بين الطبقات، وظهور طبقة قليلة الأفراد مفرطة في الغني وبجانبها طبقة فقيرة وهي طبقة العامة وكان أشدها بؤساً الفلاحين وعبيد الأرض السود (الأفنان)، فأصبحت هذه الطبقة لسوء وضعها الاجتماعي والاقتصادي مهيئة نفسياً للالتفاف حول أي إنسان يعدهم بإصلاح حالهم، وهذا يفسر لنا التفاف الزنج (عبيد الأرض) حول صاحب الزنج في هذه الحركة .**الحالة الاقتصادية:**

يعد العصر العباس الثاني عصر نشوء الإقطاع والملكيات الواسعة التي كان الخلفاء يقطعونها الأتراك وكبار رجال الدولة، فضلاً عن أن كبار التجار عملوا على توظيف أموالهم فيما يعود عليهم بالربح الطائل فأقبلوا على توظيفها في شراء الأراضي الزراعية، كما كانت توجد أراضي زراعية كثيرة بور أراد الخلفاء استصلاحها في الدولة العباسية في منطقة البطائح بالبصرة، واحتاجت عملية الإصلاح إلى كثير من الأيدي العاملة القوية الرخيصة، وسرعان ما تكونت شركات لجلب العبيد خاصة (الزنج) نسبة لقوتهم وتحملهم المشاق، وتجمعهم في منطقة البطائح، فقام هؤلاء الزنج بالعمل الشاق تحت وهج الشمس وضرب السياط وسوء التغذية وسوء المعاملة من قبل الأسياد ([3]).

حركة الزنج:

تعني حركة الزنج في تاريخ المسلمين حركة زنوج منطقة البصرة بالعراق على أسيادهم في بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري 255

([3]) محمد فضل، تاريخ الدولة العباسية، مرجع سابق، ص17 .

هـ ؛من أجل تحسين أوضاعهم الاجتماعية بقيادة على بن محمد، ومستقلاً فساد الأحوال العامة في الدولة العباسية،ولم تكن حركة 255 هـ أول حركة للزنج في تاريخ المسلمين بل سبقتها حركات عصيان غير منتظمة، قمعت دون عناء، في عام 71 هـ قامت قلة منهم بحركة في منطقة البصرة،وعاثوا في الأرض فساداً فشكاهم الناس للوالي . خالد بن عبد الله، فأعد جيشاً لمحاربتهم فلم يستطيعوا لقاءه، فتفرقوا وتم القبض على جماعة ومنهم وقتلهم[2]

وفي عام 75 هـ قاموا بحركة أكثر تنظيماً بقيادة قائد منهم ميديع رباح ولقبوه (بشير زنجي) أي: (أسد الزنج)، واستطاعوا هزيمة جيش الدولة الأموية، ولكن الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق في ذلك الوقت أرسل إليهم جيشاً استطاع أن يلحق بهم الهزيمة ويقتلهم .

وفي بداية الدولة العباسية عين الخليفة السفاح على مدينة الموصل يحي بن محمد فقتل أهلها رجالاً ونساءاً وأطفالا، وكان في جيشه فرقة قوامها أربعة آلاف زنجي كانت من أكثر فرق الجيش فساداً، فاغتصبوا النساء قهراً، فاشتكت إحداهن إلى الوالي وعيريته، كيف يكون ابن عم الرسول صلي الله عليه وسلم ويترك الزنج يغتصبون العربيات المسلمات فأثر فيه قولها فقتلهم جميعاً .[3] ومع ذلك لم يكن للزنج قوة في عهد السفاح، وإنما بدأت قوتهم وشوكتهم وازدياد نفوذهم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري .

دوافع حركة الزنج:

---

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ 4، بالقاهرة، المطبعة المنيرية، 1357 هـ، ص 40 .

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر، ص 340 .

استخدم أصحاب الملكيات الزراعية الواسعة الزنوج في الأراضي الواقعة شرق البصرة حيث تكثر المستنقعات في الجزء القريب من نهرى دجلة والفرات، واشتهرت هذه المنطقة بكثرة قنواتها[4] وكانت طبيعة عملهم شاقة فقد عملوا تحت وهج الشمس المحرقة في إزالة طبقة الأرض المشبعة بالشوزج (الملح) [5] وإظهار التربة الصالحة للزراعة، وتجميع ما أزالوه ووضعه في شكل أكوام ونقله بالبغال إلى حيث يعرض ويباع . وكانت تفرض عليهم رقابة صارمة واهانات مستمرة وقاسية من قبل وكلاء أسيادهم الذين أرغموهم بالسياط على أداء اعمالهم، وعاش هؤلاء العبيد بلا وطن أو أمل ولم تكن لهم زوجات وأولاد بل عاشوا عزاباً، مكدسين في جماعات وأدى هذا التكدس وسوء الحالة المعيشية إلى انتشار الأمراض وتفشى الملاريا التي أخذت تفتك بهم فتكاً ذريعاً [6].

إضافة إلى أحوالهم المعيشية القاسية والعمل الشاق والمعاملة السيئة كانت أجورهم عبارة عن حفنات من الدقيق والسويق وحبات التمر . لا تسمن ولا تغني من جوع،ولا تساعد على قدرة الاستمرار في العمل الشاق . كل ذلك جعلهم مهيئين للالتفاف حول أول من يعدهم بإصلاح أحوالهم، ولذلك عندما اتصل بهم علي بن محمد ووعدهم بالحرية والسيادة وتمليكهم الأراضي

---

(4) الاصطخرى: إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك: تحقيق محمد جابر الحسيني، القاهرة والإدارة العامة للثقافة، 1961م، ص79 .

(5) شوزج: كلمة فارسية معناها أرض ذات نزو ملح: عبد المنعم حسنين: دائرة المعارف الإسلامية، مج10، عدد 10، ص422 .

(6) ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن عبد الحميد بن هبه الله المدائنى: شرح نهج البلاغة، مج2، جـ8، القاهرة، مطبعة المصطفي الباب الحلبي، د: ت، ص 311 .

والمنازل،حتى استجابوا له مسرعين وتكاثروا حوله مدافعين،فاستغل علي بن محمد صاحب حركة الزنج، ذكائه فاستفاد من الفرصة لصالحه بعد أن تأكد من فسادة الحياة السياسية، لذلك تاقت نفسه إلى المغامرة لعل أن يكون له نصيباً.[7] .

نسب صاحب الزنج وعروبته:

اختلف المؤرخون في نسب علي بن محمد (صاحب الزنج) ويرجع السبب في ذلك أن صاحب الزنج كان يغير نسبه تبعاً للظروف ففي البحرين . أدعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله العباسي بن علي بن أبي طالب، وفي الباديه هو يحي بن عمر العلوي . وفي بغداد محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . [8] ومن الملاحظ أنه في كل هذه الأنساب أنه ينتسب إلى العلويين .

فيرى المؤرخان الطبري وابن الأثير أن نسبه هذا زعم ووهم وخداع، ويقول: بن أبي الحديد إن أكثر الناس يقدحون في نسبه خصوصاً الطالبيين، أما ابن كثير فيقول أنه كاذب، ويقول ابن طباطبا أن نسبه إلى العلويين ليس بصحيح عند النسابين، أما ابن خلدون والمسعودي والذهبي يقولون أنه من دعاة العلوية ومطعون في نسبه .[9]

---

[7] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ 9، تحقيق محمد أبو الفل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1968م، ص 413، 415 .

[8] ابن أبي الجديد: شرح نهج البلاغة، م2، جـ 8، ص318، الطبري: تاريخ الرسل على . جـ 9، ص411 – 412 .

[9] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ 4، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، بغداد: المكتبة العصرية، 1938م، ص135 – ابن خلدون: العبرو ديوان المبتدأ والخبر، جـ3،

يتضح من الآراء السابقة أن أهم مصادر التاريخ الإسلامي تجمع على أنه لا ينتسب إلى العلويين، أما المؤرخون المحدثون من المستشرقين فيتشككون في نسبه فبروكلمان يقول: من الجائز أن تكون نسبته إلى العلويين صحيحة .[10] ويقول ابن كثير: أن الزنج قتلوا علياً بن يزيد العلوى صاحب الكوفة وهذا دليل واضح لانعدام التعاطف بين الزنج والعلويين، ومن هنا يتأكد لنا أن نسبه إلى العلويين غير صحيح وإنما إدعاء ليصبغ حركته بصيغة دينية حتى تجد لها صدى واستجابة في قلوب العامة الذين خاب أملهم في العباسيين واعتقدوا أن إصلاح أمرهم لا يكون إلا على يد علوية [11].

وأعتقد أن صاحب الزنج علي بن محمد كان يدرك تماماً أن نسبه إلى العلويين أدعاء منه بدليل أن الحسن بن زيد العلوى صاحب الدولة الزيدية العلوية في طبرستان: كتب إليه عندما قام بثورته يسأله عن نسبه، فأجابه " ليعنك من أمرى ما عناني من أمرك والسلام"[12] ورأى لو كان نسبه صحيحاً لأجاب الحسن إلى ما طلب ولتعاون معه ضد العباسيين .

القاهرة: المكتبة الأميرية، 1284 هـ، ص281 – ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية: القاهرة مطبعة الموسوعات، 1317 هـ، ص227 – الذهب: دولة الإسلام، حيدر أباد: المطبعة الأولي الأولي، 1377 هـ، ص120 .

[10] كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، جـ 2، ترجمة نسبية أمين فارس ومنير البعلبكي، بيرون: دار الملايين، 1949م، ص56 .

[11] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ11، ص11 .

[12] البيروني: الآثار الباقية من القرون الخالية، بغداد: مكتبة المثني، 1923م، ص332 .

كذلك نرى أن المؤرخين قد اختلفوا في هل هو عربي أم فارسي فمعظم المصادر تؤكد بأنه علي بن محمد بن عبد الرحيم ويرجعون نسبه إلى (عبد القيس فرع من قبيلة ربيعة) وأمه قرة بنت علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة ولد في إحدى قرى الري تسمي ورزنين، ومن ثم يتضح لنا بأنه عربي من جهة أبيه (عبد القيس) وكذلك من جهة أمه (خزيمة) . ورغم ذلك نذكر بعض المصادر أنه فارسي منهم القيرواني فذكر (أن يشرى بن الري بن عبد الرحمن بن رحيب قال: "إن صاحب الزنج ابن عمه وأن رحيب رجل من العجم")[13] والذي يفهم من هذا النص أن صاحب الزنج فارسي النسب والمولد وابن كثير بنفي نسبه لعبد القيس ويجعله أجيراً عندهم .

ورغم تباين آراء المؤرخين فأنني أرى أن صاحب الزنج كان رجلاً مغامراً لا تهمه الوسيلة بقدر ما يهمه الوصول إلى هدفه، ولا يهمه أن يكون علوياً أو خارجياً أو فارسياً أو عربياً، وعلى درب الوصول يتخذ من الوسائل التي تحقق له هدفه .

فترة الإعداد للحركة:

لم تظهر حركة الزنج من العدم على مسرح الحياة الاجتماعية بل سبقتها فترة إعداد استمرت لمدة سبع سنوات من عام 249 – 255 هـ، وتعد مرحلة الإعداد من أهم مراحل تاريخ الثورات، لأن فيها تتكون شخصية صاحبها وتتبلور آراؤه وأفكاره وتتضح أهدافه، كما أنها تعد فترة تمهيدية

[13] القيرواني: أبو اسحق القيرواني، زهرة الآداب وثمر الألباب، جـ 1، تحقيق زكي مبارك، القاهرة: المكتبة التجارية، 1925م، ص258 .

للحركة . ومن هنا أود أن أوضح بأن دعوة صاحب الزنج لم تكن موجهة في بداية أمرها إلى الزنج بل إلى عامة الشعب، ولم يفكر بالاستعانة بهم ولم يخطر بباله، بل جعل همه مركزاً لجذب إتباع من العامة، فوجدت دعوته استجابة بينهم حتى أن أهل البحرين (أحلوه من أنفسهم محل النبي صلي الله عليه وسلم وجب له الخراج منهم ونفذ فيهم حكمة وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه") .[14] كما أن مجلس شورته كان مكون في بداية الحركة من الأحرار منهم على سبيل المثال يحيى بن محمد ومحمد بن مسلم وسليمان بن جامع فهؤلاء لم يكن واحد منهم زنجي، كذلك لقد وجدت ثورته مساعدة كبيرة من الأعراب في الاستيلاء على البصرة . كما انضم إليه بعض بني تميم والبعض الآخر تكفل له بجلب الطعام والمواشي إلى معسكره .[15]

وقد ذكر المؤرخون أن علي بن محمد كانت له صلات قوية بأخوال الخليفة المنتصر بالله العباسي 247 – 248 هـ حيث كان يمدحهم بشعره فأنعموا عليه بالمال، لأنه كان فصيح اللهجة حسن الشعر مطبوعاً عليه، كما أنه كان يقوم بتعليم الصبيان الخط والنحو وعلم النجوم والسحر، بالإضافة إنه كان رجل بعيد الهمة تسمو نفسه إلى معالي الأمور .

فقد شاهد بنفسه بزخ الخلفاء وترف قصورهم وعاين التفاوت الطبقي في الحياة الاجتماعية وانحطاط الأخلاق، وضعف الحياة السياسية، وتغلب الأتراك على مقاليد الحكم والإدارة في الخلافة العباسية، كما رأى أن الحياة

---

[14] الطبري: جـ 9،/ ص 410، مصدر سابق .

[15] نفس المصدر، ص411، 481 – 16 / ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مجلد 2، جـ 8، ص 311 .

حوله مغامرة لا تنتهي، عظيم يزل ووضيع يرتفع كل ذلك ملأ نفسه غيظاً وطموحاً ومغامرة ويتضح ذلك في شعر له يقول فيه:

لهف نفسي على قصور بغداد *** وما حوته من كل عاص

وخمور هناك تشرب جهراً *** ورجال على المعاص حرا

لست بابن الفواطم الزهر *** إن لم أقحم الخيل بين تلك العراص

وكان علي رجلاً على جانب كبير من الدهاء يعبر على المكروه منهم غير مشقه ولا جهد، فهداه ذكاؤه أن يستغل الظروف لمصلحته حتى يجعل لنفسه مكاناً في التاريخ، ومن أجل ذلك ألبس دعوته لباساً دينياً ليكسب إليه قلوب الناس، فلم يكن أمامه لتحقيق ذلك سوى الادعاء النسب العلوى ليصيغ حركته بالصيغة الشرعية التي تعطيه الحق في الجهاد والكفاح ضد العباسيين الذين نزعوا الخلافة من العلويين

اختيار مكان وبداية الحركة:

رأى علي بن محمد أن يتخذ لدعوته منطقة صالحة ومناخاً ملائماً يكون بعيداً عن أعين ومراقبة الخلافة فتطلع إلى البحرين فرحل إليها عام 249 هـ لينشر دعوته، في كل مكان ويكسب مؤيدين من جميع الطبقات، وراية أنه لكي يبلغ غايته لابد أن يحيط نفسه بهالة من القدسية والغموض فاستغل بساطة المحيط به "وادعى أنه يعلم الغيب ويأتي بالخوارق ويعلم ما في ضمائر أصحابه" . [16]

[16] الطبري،تاريخ الطبري: جـ 9، ص411 .

فبدأ دعوته بالبحرين ودعا الناس بهجر [17]. إلى طاعته فوجدت دعوته مكاناً طيباً في نفوس أهلها واتبعه أعداد كبيرة، والبعض الآخر رفضه، ونتيجة لذلك وقع قتال بين الفريقين فأدرك علي بن محمد (صاحب الزنج) أن المقام لن يطيب له في (هجر) فرحل إلى الإحساء ونزل في بني سعد وبني تميم، فأقام بينهم، وعظمت منزلته في البحرين حتى جعلوه في نفوسهم محل النبي صلي الله عليه وسلم، فحاربه والى البحرين فدافع عنه أهلها فقتل منهم أعداد كبيرة فتنكروا له فخرج منهم إلى البادية ومعه جماعة منهم دفعهم حب المغامرة إلى البقاء معه أشهرهم يحيى بن محمد البحراني وسليمان بن جامع ويحيى بن ثعلب.[18] وفي البادية أخذ يتنقل من مكان إلى آخر ناشراً دعوته ومستغلاً بساطة الأعراب فادعى الإمامة، وأنه يحيى بن عمر أبو الحسين العلوى المقتول بناحية الكوفة وهم لا يعلمون ذلك . فاستمالهم إليه واتبعه أعداد كبيرة فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يسمي (الردم) .[19] فقاتله أهلها وهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة كبيرة فكرهوا صحبته وتفرق بعضهم منه . فلما قل أتباعه بالبادية أراد الانتقال إلى مكان آخر، فادعى "أن سحابة أظلته فرعدت وبرقت واتصل صوت الرعد بسمعه فسمع صوتاً يخاطبه بأن

---

[17] هجر: قاعدة البحرين فتحها للإسلام الولاء بن الحضرمي، يا قوت الحمرى: معجم البلدان، مج8، ص445 – 446 .

[18] الإحساء: مدينة بالبحرين، ياقون الحمرى، مج1، ص137 – 18/الطبري: جـ 9، ص411 – 312، 347 .

[19] الردم: قرية لنبي عامر بن الحارث بن عبد القيس بالبحرين، ياقوت المحوى، مج4، ص245 .

يقصد البصرة "[20] ومهما يكن من صحة هذا النص أو عدمه فإن علياً رأى أن البادية ليست مكاناً مناسباً لدعوته لسببين أولهما قلت وندرة الأتباع وثانياً أن دعوته تحتاج إلى بيئة أهله بالسكان كالمدن والقرى، كما أن البصرة تعد من أهم موانى العراق ولها شهرتها التجارية العالمية ومركزها الثقافي والفكري بالإضافة هي مدينة زراعية تتوقف معيشه أهلها وسكانها بالدرجة الأولى على الزراعة ثم التجارة مما أدى إلى ازدحامها بالسكان

فكانت البصرة من الناحية السياسية تطحنها النزاعات السياسية الحزبية والعصبيات القبلية، فالصراع كان مستقراً بين البلالية والسعدية، ولم يستطع أحد الولاة إصلاح الحال لقصر مدة ولايتهم . لذلك أراد علي بن محمد أن يستغل الأوضاع في البصرة لصالحه فنزل بها وحاول استمالة أحد الحزبين إليه، فأمر أربعة من أصحابه "وهم محمد بن مسلم القصاب وبريش القريعي وعلي الضراب والحسين الصيدناني بالدعوة له على منابر البصرة فمال إليه جماعة من أهلها . [21] وهذا يؤكد لنا أن دعوته كانت موجهة للعامة في بدايتها وليست للزنج .

وعندما علم والى البصرة محمد بن رجاء الحضاري بنشاط جماعة علي بن محمد أمر بالقبض عليهم، فتمكن علي وبعض أصحابه من الفرار إلى بغداد، وتم القبض على البقيه في البصرة ومن بينهم " ابنه الأكبر وابنته وزوجته وجارية له "[22] . وفي طريقه إلى بغداد وشى به أهل البطائح فقبض

---

[20] الطبري: جـ 9، ص411 – 21/ناصر خسرو على: سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب: القاهرة: مطبعة لجنة التأليف، 1945م، ص95 – 97 .

[21] الطبري: المصدر السابق، ص411 .

[22] ابن الأشير: الكامل، جـ5، ص347 .

عليه ومعه بعض أتباعه فحملوا إلى واسط إلا أنهم استطاعوا أن يتخلصوا منه واتجهوا إلى بغداد .

استغل علي بن محمد وجوده في بغداد، فأراد أن ينشر دعوته فيها فأدعى نسب علوى يتناسب مع بيئته الجديدة لجذب القلوب إليه، فادعى نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد، أحاط نفسه بالقدسية والغموض للسيطرة على أتباعه، فأدعى أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه وما يعمله كل واحد منهم، وأنه "رأى كتاباً يكتب له على حائط لا يراه أحد غيره، فبذلك وجدت دعوته استجابة في قلوب قلة من أهل بغداد أشهرهم جعفر الصوحاني ومحمد بن القاسم ومشرق ورقيق غلاماً يحيى بن عبد الرحمن، فأصبح هؤلاء من أخلص أتباعه " [23].

وأخيراً رأي علي بن محمد أن المكان المناسب لنشر دعوته البصرة وليست بغداد لذلك أخذ يتابع أخبار البصرة وبغداد ويعمل بكل السبل لجذب المزيد من الأتباع، وبعد قضاء عام في بغداد وصلته الأخبار باشتعال الفتنة بين البلالية والسعدية في البصرة وعزل واليها وفتحت أبواب سجون وخرج أهله وأعوانه منها، فانتهز الفرصة ورجع إلى البصرة في رمضان عام 255 هـ الموافق 869م وبث دعوته في الزنج . وإلى هذا التاريخ تنتهي فترة الإعداد بالنسبة لعلي بن محمد ويلاحظ فيها الآتي:

أولاً: أن علياً كان رجلاً من العامة دفعه حب المغامرة إلى استعمال بعض الأساليب التي تضمن له النجاح فانتحل النسب العلوى، وأحاط نفسه بالقدسية

[23] الطبرى: جـ 9، ص 411 – 413 .

والغموض ليجذب إليه قلوب الناس فأدعى الإمامة والعلم بالغيب ونزول الوحي ليضمن لثورته النجاح .

ثانياً: وجه الدعوة في تفرة الإعداد إلى العامة لا الزنج، فكانت في هجر والإحساء والبحرين والبصرة وبغداد وكل أتباعه في هذه الفترة لم يكن بينهم زنجي .

الاستعانة بالزنج:

وجد علي بن محمد أن ما اجتمع حوله من الأحرار لا يمكن بهم القيام بحركة، فرأى أن يجرب حظه مع العبيد، ومن ثم بدأ يفكر في الاستعانة بالزنج الموجودين في سهول البصرة، وكان عليه أن يتخذ أسلوب جديد يضمن لدعوته النجاح مع الأتباع الجدد واستمالت قلوبهم إليه . فوجد أن النسب العلوي لن ينجح في كسب قلوب الزنج ولا يتفق مع أهوائهم وميولهم، لذلك انتحل مذهب الخوارج الذي يتفق مع ميول الطبقات المضطهدة فهو يجعلهم على قدم المساواة مع غيرهم من المسلمين ويمكنهم من تولى منصب الخلافة، لأن من مبادئ الخوارج الرئيسية (أن الخلافة غير محصورة في قريش ويجوز أن يتولاها أحد المسلمين ولو كان عبداً) .[24] واتخذ شعار الخوارج شعاراً له، فكتب على رايته قوله تعالي:

{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة}[26] وكتب بجانبها اسمه واسم أبيه، من غير انتساب إلى العلويين .

---

(24) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ1، ص116 .

(26) سورة التوبة: الآية: 111

ومن جهة أخرى أطلع على الحالة السيئة التي يعيشها الزنج من ذل وهوان، فرأى أي وعد بتحسين وضعهم سيجعلهم يلتفون حوله، فادعى أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذهم فوعدهم بتحقيق آمالهم وأمانيهم برفع أقدارهم وتمليكهم العبيد والأموال والمنازل ليبلغ بهم إلى أسمى ما يبتغون وحلف لهم على ذلك.[26]

فكان الزنج مهيئين للقيام بحركة ضد أسيادهم نتيجة للمعاملة السيئة، ولذلك التفوا حول علي بن محمد وتركوا أسيادهم مرحبين بدعوته، ولكي يبرهن لهم صدق ما وعدهم به فنجده عندما اجتمع إليه في أول يوم للحركة أكثر من ألف زنجي قام بتقييد أسيادهم، وجعل كل مجموعة تضرب سيدها خمسمائة ضربه .[27] وهكذا تقسم العبيد لأول مرة في تاريخهم من أسيادهم.

بداية الحركة:

يمكن تقسيم حركة الزنج في العراق ضد الدولة العباسية إلى فترتين:

الفترة الأولي: تبدأ عام 255 هـ وتنتهي عام 266 هـ وتتميز بالانتصارات المتوالية للزنج

الفترة الثانية: تبدأ عام 266 هـ إلى انتهاء الحركة والفضاء عليها في صفر 270 هـ .

---

(26) الطبري: جـ 9، ص 415 .

(27) نفس المصدر، ص414 .

ومما تجدر الإشارة إليه، أن دعوة الزنج في إطارها الجديد لم تكن موجهة إلى الزنج فقط، بل انضم إليهم كثير من العبيد البيض والأعراب والفلاحين وأهل الحرف، ليس عن اقتناع بل من أجل المغامرة والكسب .

جغرافية منطقة الحركة:

قبل الحديث عن مجريات أحداث الحركة لابد أن نلقى الضوء على طبيعة الأرض التي دارت عليها المعارك، لما لها من تأثير على حركات الجيوش ونوع الأسلحة المستخدمة مما طبع الحروب بطابع خاص يختلف كثير عن طابع الحروب المنظمة الأمر الذي أدى إلى عجز الدولة العباسية من قمعها بسرعة .

وقعت حوادث حروب حركة الزنج في السهول الممتدة بين مصب نهر دجلة العوراء[28] وبين واسط، ولكن هذه المنطقة قد تكون تغيرت عما كانت عليه أيام الحركة، ولذلك من الصعب التعرف على أماكن المعارك وتحديد القرى والبلدان التي ترد في المراجع نسبة لقيام قرى جديدة وتبدلت أسماء بعضها .[29]

أما نهر الفرات فكان يصب بعد الكوفة في البطيحة، ودجلة بعد واسط في البطيحة ومجراه ظل متصلاً بسلسلة من المستنقعات الصالحة للملاحة، ثم تتجمع مياه النهرين في مجرى يصب في خليج فارس، والبطيحة

---

(28) العوراء: اسم لدجلة بعد خروجه من البصرة إلى مصبه في الخليج العربي: ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج4، ص30 .

(29) أحمد سهيل على: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961م، ص94 .

مستنقع كبير يتكون من عدة مسطحات مائية (أهواز) تتصل بالبحر بواسطة قنوات المد والجزر .

ولقد كان للعوامل الطبيعية وعدم الاهتمام بهذه المنطقة أن تحولت إلى منطقة غابات مليئة بالمستنقعات والأدغال، فأصبحت مكاناً صالحاً لنجاح حرب العصابات .

وكانت منطقة البصرة، مسرح الحركة تقع وسط هذه الطبيعة، بالإضافة إلى كثرة أنهارها وقنواتها التي مزقت سطح الأرض، مما جعلها غير صالحة لتحركات الجيوش المنظمة، فكانت هذه الطبيعة الجغرافية ملائمة للزنج نسبة لمعرفتهم لكل مسالكها ودروبها وقنواتها، مما سهل عليهم إدارة الحروب فيها واستخدام الأسلحة والتجهيزات التي تتناسب مع هذه البيئة، واستغلوا هذه الطبيعة المعقدة فحفروا الخنادق لإعاقة تقدم الجيوش، وبنو السدود لعرقلة حركات السفن ونصبوا الكمائن للانقضاض عليها، وهدموا الجسور ليغمروا المنطقة بالمياه ليصعب على خيالة العباسيين التحرك فيها، وانتهزوا كثرة القنوات فاختبوا تحت الحشائش التي تغطي سطحها لينقضوا على العباسيين وبذلك أذاقوا الجيوش العباسية مر العذاب والهوان .[30] فجيوش الخلافة رغم أنها مجهزة بالتجهيزات الثقيلة لم تساعدها الطبيعة الجغرافية على سرعة الحركة والانتقال من مكان إلى آخر في وسط المستنقعات والمسطحات المائية والأدغال فبذلك وجدت القوات العباسية مصاعب كثيرة لضيق الأماكن وصعوبتها وكثرة الخنادق ووعورة المسالك

(30) الطبري:تاريخ الطبري، جـ 9، ص47 .

بالإضافة إلى أن أسلحتهم ومعداتهم لا تصلح للقتال إلا على الأرض اليابسة في حرب منظمة .

الفترة الأولي لحرب الزنج:

بدأ صاحب الزنج ثورته يوم السبت الموافق 28 رمضان 255 هـ الموافق سبتمبر 869م وسرعان ما تجمع حوله الزنج فخطب فيهم ووعدهم " بأنه سوف يقودهم ويرأسهم حتى يملكهم الأموال والمنازل والعبيد وحلف لهم على أن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا وقدمه لهم " .[31] ونسبة لهذه الوعود تجمع إليه الزنج من كل مكان فنظمهم وعين منهم قواداً ووعدهم بأن من ينجح في ضم عدد جديد إليه من الزنج فهو قائدهم .

في بداية الحركة واجهته مشكلة السلاح والمال ولكن تغلب عليها بغاراته على القرى المحيطة به، فاجتمع له من السلاح والمال ما يكفل لثورته الاستمرار به، وقد بلغ عدد الزنج الذين انضموا إليه ستة آلاف جندي في معركة واحدة . ونسبة لعلمه بوسائل الحروب وخططها كان يستعمل الأسلحة التي تمكنه من النجاح كما يستخدم الاستحكامات ما يكفل له الأمان، ولا يضع الخطط العسكرية إلا بعد الحصول على المعلومات عن العدو بواسطة الجواسيس والكشافة لدراسة المناطق التي يتنقل فيها جيشه .

فبدأ معاركه بشن غارات على القرى المجاورة بعد أن يتحقق من عداء أهلها له، وبعد مرور ستة أسابيع من الحركة، أرسل إلى البصرة ثلاثة من أتباعه ليوضحوا لأهلها الأسباب التي خرج من أجلها، وهي الدفاع عن الدين

---

[31] الطبري، تاريخ الطبري: جـ 9، ص47 .

نفس المصدر، ص414 .

ولما عليه الناس من الفساد، فقتل أهل البصرة أحد أتباعه وهو محمد بن مسلم، فشن عليهم صاحب الزنج حرباً بلا هوادة وأنزل بالبصريين خسائر فادحة، ثم رجع منها إلى سيخه بني قرة (موضع بالبصرة)، وأمر جيشه ببناء الأكواخ ليتخذها معسكراً، ثم تحول منها إلى جانب نهر أبي الخطيب وبني عاصمته الجديدة المختارة واعتني بتحصينها وجعلها في مكان يسهل تموينها براً وبحراً، فكانت تحيط بها الأرض الخصبة والبساتين والنخيل والقنوات، بالإضافة إلى ذلك أنها قريبة من الخليج الفارسي، وحصنها بالخنادق والأسوار وأصبحت تنافس سامراء وبغداد وقد وصفها الذهبي بأنها أحصن مدينة بنيت في الدنيا .[32]

بعد أن لحقت الهزيمة بالبصرة تحطمت معنويات سكانها ودب الخوف والرعب بين أهل المنطقة فاستنجدوا بالخليفة العباسي، فأمدهم بالقائد جعلان التركي على رأس جيش كبير لا يناسب تكوينه وتسليحه مع طبيعة المنطقة، ولذلك لم ينجح في مهمته لأن جيشه لم يستطع التحرك وسط غابات النخيل والأدغال فهاجمته قوات الزنج ليلاً فهزمته، فعزله الخيفة وولي سعيد الحاجب بدلاً عنه .[33]

فكانت هزيمة جعلان التركي حافزاً لصاحب الزنج ليوسع دائرة هجومه ويهاجم المدن الكبرى . فقام بشن هجوم على الأبلة (بلدة على شاطئ دجلة في البصرة) في 2 رجب عام 256هـ فاستولي عليها وأحرقها وقتل حوالي ثلاثين ألفاً، مما آثار الرعب في أهل عبادات فسلموا المدينة إليه

---

[32] الطبري: جـ 9، ص416، 417، 436، 437 – الذهبي: دول الإسلام، جـ1، حيدر أباد: د: ن، 1377 هـ، ص129 .

[33] الطبري: المصدر السابق، ص470 .

فحرر عبيدها وفرق سلاحها بين أصحابه . وتم ذلك بعد تسعة أيام من توليه المعتمد على الله الخلافة العباسية، وترجع أهمية الأبلة بأنها تعد أكبر المدن المحيطة بالبصرة، وبعدها دخل مدينة الاهواز بعد انسحاب واليها في 12 رمضان 256 هـ، الموافق أغسطس 870 م ومارس فيها الزنج كل ألوان الفساد .[34] وبهذه الانتصارات يكون صاحب الزنج استطاع القضاء على كل المدن المحيطة بالبصرة .

ولوقف انتصارات الزنج عين الخليفة العباسي سعيد الحاجب لقيادة الجيش العباسي فاستطاع إيقاع الهزيمة بالزنج، إلا أن الزنج قاموا بشن هجمات ليليه على معسكره فهزموه وأحرقوا معسكره، فتم عزل القائد سعيد الحاجب لهزيمته وتولى القيادة بدلاً عنه منصور بن جعفر الخياط .

وجد أن صاحب الزنج أن البصرة أصبحت البصرة مهددة بعد خراب وتدمير ما حولها من مدن وقرى، ففرض عليها حصاراً اقتصادياً أضر بأهلها فخرجوا عنها فأتاحوا الفرصة لصاحب الزنج أن يحشد قواته لاحتلالها، فاستطاع استمالة عدد كبير من الأعراب المحيطين بها وبذلك تمكن من دخول البصرة يوم الجمعة 17 شوال عام 257 هـ سبتمبر 871م فاستباح الزنج المدينة وقتلوا أهلها بعد أن أعطوهم الأمان سبوا النساء والأطفال وأحرقوا المسجد الجامع، ثم انسحبوا منها، مما مكن القائد العباسي الجديد محمد بن المولد دخلوها هي والأبلة بدون مقاومة وأعاد عليها كل الذين فروا منها . غير أن الزنج هاجموه ليلاً وهزموه هزيمة نكراء، وفي نفس الوقت تعرض جيش الخلافة في الاهواز بقيادة منصور بن جعفر الخياط للهزيمة،

[34] نفس المصدر، ص472 – ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مج 2، جـ 8، ص 343

وهكذا لم تستطع جيوش الخليفة الصمود أمام قوات الزنج الذين قويت شوكتهم .

فهذه الانتصارات جعلت الخلافة أن تعمل عملاً حاسماً لمواجهة قوة الزنج، فلم تجد خيراً من أبي أحمد بن المتوكل (الموفق) أخ الخليفة لتوليه قيادة جيوش الدولة العباسية في 20 ربيع الأول عام 258 هـ / 872م، فتوجه ومعه قائده مفلح إلى البصرة على رأس جيش لم ير مثله من قبل من ناحية الإعداد والسلاح والعتاد والتدريب، مما أوقع الرعب في قلوب الزنج، لذلك جمع صاحب الزنج سائر جيوشه ليواجه خطر جيش الخلافة، فالتقي الجيشان في 18 جمادي الأول عام 258 هـ 872 م فانهزم جيش الخلافة ومن أهم نتائج اللقاء مقتل القائد مفلح، وسريان الضعف في صفوف الجيش العباسي، الذي انسحب إلى الآيلة ثم إلى نهر ابي الأسد ليعيد تنظيمه .[35] بعد أن تمكن أبو أحمد إعادة تنظيم جيشه تقدم لحرب الزنج، فمنى بهزيمة ساحقة وكاد أن يقع في الأسر لتفرق أصحابه عنه، فاضطر إلى الانسحاب وتعرض معسكره للحريق، فرجع إلى واسط فتفرق عنه عامة جنده، فاستدعاه الخليفة لمحاربة يعقوب الصفار، فرجع إلى سامراء، وولى محمد المولد حرب الزنج في 26 ربيع الأول 259 هـ / 873م .

فانتهز صاحب الزنج رجوع أبي أحمد فأرسل جيشاً إلى الأهواز ليحتلها من أجل الغنائم والمؤن وبث الرعب في القلوب وليس من أجل توسع ممتلكاته، لأنه كان يعلم هو وجنده في مأمن بين الأدغال والقنوات التي درسها وعرفها .

---

[35] الطبري: جـ 9، ص 493 – 394 .

وفي ذي القعدة عام 259 هـ / 873م تولى حرب الزنج القائد العباسي موسي بن بغا الذي يعد من أكفأ القواد، فوزع جيشه إلى مناطق، فولى عبد الرحمن بن مفلح حرب الأهواز، واسحق بن كبداج البصرة، وإبراهيم بن سيما بازوارد، وقد برهن هؤلاء القادة على مقدرتهم ونجحوا في هزيمة الزنج وقطع الإمدادات عنهم، غير أن جهلهم بجغرافية المنطقة وخبرة الزنج بها أطال أمد الحرب بينهم بضعة شهور، اتخذوا خلالها واسط مركزاً له وظل بها إلى أن عزله أبو أحمد (الموفق) وولاها سرور البلخي الذي تركها لمساعدة جيوش الموفق في مقاومة يعقوب الصغار، فانتهز صاحب الزنج هذه الفرصة فأرسل جيشاً احتل الأهواز فسبوا ونهبوا وقتلوا أعداد كبيرة من أهلها .

وفي أثناء هذه الحروب المتبادلة بين الزنج والدولة العباسية، تخللتها فترة لم تكن الدولة متفرغة لمواجهة الزنج نسبة لظهور يعقوب بن الليث الصفار بحركته وزحف بجيوشه تجاه العراق، لذلك كرست الدولة جهدها لمواجهته، واضطرت إلى سحب قواتها من جبهة الزنج، فكانت هذه فرصة للزنج حاولوا فيها إبراهم معاهدة مع الصفار بهدف القضاء على الخلافة العباسية، ولكن يعقوب الصفار رفض تلك المعاهدة لسببين أولاً: أنه ليس خارجاً عن الخلافة وثانيهما أنه اعتبر الزنج مارقين على الدولة العباسية لا يصح له أن يوقع معهم معاهدة .

بعد هذا الرفض انتهز صاحب الزنج خلو واسط من الجند فأرسل جيوشه إلى البطيحة ودست ميسان (منطقة بين واسط والبصرة) فتمكن من احتلالها ثم توجه إلى واسط فالتقى بمحمد بن المولد عامل الخليفة بها فهزمه ودخلها

في ذي الحجة عام 264هـ/878م وقتل من بها وأحرقت دورها وأسواقها، وفي عام 265 هـ / 878م تمكن كل من أحمد بن ليثوبة وتكين البخاري عاملاً الخليفة من قبل سرور البلخي من هزيمة الزنج، إلا أن سرور قام بسجن تكين البخاري لميله للزنج . فبعد ذلك تمكن الزنج من دخول النعمانية وجرجرا وجبل (بلدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي) فنهبوا وأشاعوا الذعر والخوف بين الأهالي فتركوا قراهم ودخلوا بغداد .

وبذلك تمكن الزنج من الاستيلاء على المنطقة وعظم أمرهم وكثرت اموالهم وغنائمهم بسبب السلب والنهب من تلك المناطق، وولي صاحب الزنج قواده ولاية هذه المناطق ليحصلوا له خراجها، فولى علي بن أبان الأهواز، وسليمان بن جامع أعمال واسط، فجمعوا أموالاً لا تحصى وشيدوا المدن، فبني سليمان الشعراني مدينة المذيعة، وسليمان بن جامع بني مدينة المنصورة، وبذلك عظم شأن الزنج وكاد ملك بني العباس أن يذهب وينقرض .[36] فكان لابد للخلافة من القيام بعمل حاسم تردع به الزنج وتسترد أملاكها ونفوذها . فكل هذه الأحداث جرت في الفترة الأولي للحرب التي دارت بين الخلافة العباسية والزنج .

الفترة الثانية لحرب الزنج:

نسبة لتزايد نفوذ الزنج كان لابد للخلافة العباسية من عمل حازم تسترد به هيبتها وسلطانها، ولذلك لما وصلت فظائع الزنج إلى الموفق عزم على قتالهم بنفسه، خاصة بعد أن تهيأت له الفرصة بعد قضائه على مشكلة الصفارين، فكرس كل جهده في القضاء على حركة الزنج، فأعد العدة باحكام

[36] الطبري: جـ 9، ص 445 .

وبتفكير عميق حتى يصل إلى هدفه .فجعل الموقف ابنه أبا العباس في المقدمة وولاة الجيش، وأسند إليه عملية طرد الزنج من المقاطعات الشمالية في واسط، وزوده بعشرة آلاف من الفرسان والمشاة، وبأسطول محكم الصنع تعددت فيه أنواع السفن بين شذوات وسميريات .[37] فلما علم الزنج بجيش أبا العباس تهاونوا به لصغر سنه، وقلة درايته بالحرب، فحشدوا جيشهم ودفعوا به مرة واحدة في وجه أبي العباسي، الذي استطاع هزيمتهم ودخول واسط، الأمر الذي جعل كثير من الزنج يطلبون الأمان من أبي العباس فأعطاهم له، ثم اتخذ أبو العباس معسكرا له أسفل منطقة واسط مخالفاً لما أشار عليه قواده بأن يكون المعسكر فوق واسط حتى يأمن خطر الزنج .[38] إلا أن جيوش الزنج عادت مرة أخرى بقيادة سليمان بن جامع للانتقام من أبي العباس من ثلاثة جهات وأعدوا له الكمائن، إلا أن أبا العباس استأمن جماعة من الزنج دلوه على موضع الكمائن، فبذلك استطاع أن يحلق بالزنج الهزيمة وكاد سليمان بن جامع والجبائي قائداً الزنج أن يهلكا، وغنم أبو العباس من هذه المعركة غنائم كثيرة .[39] وفي هذه المعركة أظهر ابو العباس أشكالاً من الشجاعة والإقدام والثبات، ما أفزع به قلوب الزنج، فكان يخرج ومعه بعض الأدلاء وذوي الخبرة على مواقع الحرب ودراستها على الطبيعة حتى عرف كل أراضي الزنج منافذها ومخارجها . ولذلك نرى أن ابو العباس اتبع سياسة

---

[37] شذوات: نوع من السفن البحرية استخدمت كثيراً في حرب الزنج – سميريات: نوع من السفن يصلح للعمل في البحر والنهر، سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1967م، ص351 .

[38] الطبري: جـ 9، ص559 .

[39] ابن خلدون: العبر، جـ 3، ص320 .

تكفل له القضاء على حركة الزنج، وهي استئمان الزنج والانعام عليهم وضمهم إلى جيشه، إضافة إلى تحرير كثير من الأسرى، وجمع الأموال والغنائم والسفن التي استولى عليها في المعارك التي خاضها ضد الزنج في منطقة واسط .

وصول الموفق:

علم أبو أحمد الموفق أن قواد الزنج إثر هزيمتهم من ابنه أبي العباس أرسلوا إلى صاحبهم رسالة يطلبون منه المدد، فأمر علي بن ابان بالتوجه بجيوشه والانضمام إلى سليمان بن جامع لمواجهة أبي العباس، ونتيجة لهذا التجمع من قبل الزنج خرج الموفق لحربهم بعد أن أعد كامل عدته من الآلات والأسلحة التي تتلأم مع طبيعة المعركة ثم انضم إلى ابنه أبي العباس في ربيع الأول عام 267هـ فوضعا معاً أسساً عامة لخوض المعارك مع الزنج كان لها أثر كبير في انتصارهم وهي:

1/إدرار العطاء للجند وتوزيع الغنائم عليهم بعد كل معركة فذلك كان له أثر كبير في رفع الروح المعنوية للجند لهم .

2/دراسة منطقة الحرب وميادين المعارك قبل بدء العمليات العسكرية .

3/سياسة الاستئمان فكان لها أكبر الأثر في انفضاض الزنج عن صاحبهم .

4/فرض حصار اقتصادي شديد على مدينة الزنج وإغلاق جميع الطرق البرية والبحرية المؤدية إليها .

5/تعويض سكان المنطقة عما لحقهم بهم من أضرار بسبب الزنج .

6/صرف مرتبات الجند الذين قتلوا في المعارك إلى أهلهم وأولادهم .

7/صرف بدلات لجرحي المعارك كل حسب جراحه .

كما وجد الموقف أن قائدي الزنج "سليمان بن جامع، وسليمان بن موسى الشعراني" قد شيد كل منهما لنفسه مدينة محصنة وأقام بداخلها، فمدينة الشعراني تقع خلف مدينة واسط، ومدينة سليمان بن جامع تقع أمام واسط، فخشى الموفق إن بدأ المعركة مع ابن جامع سيأتيه الشعراني من خلفه ولذلك قرر أن بدأ معاركه بالشعراني .

المعارك:

توجه الموفق أولاً نحو مدينة الشعراني المسماة (المنيعة) بجيش كبير في 8 ربيع الآخر عام 880م استطاع به دخول المدينة، وأسر عدد كبير من الزنج وغنم ما فيها، وبعد المعركة هرب الشعراني إلى سليمان بن جامع، فأباح الموفق المدينة لجيشه وأمرهم بهدم أسوارها وردم خندقها واستولي جنده على كميات كبيرة من المواد الغذائية وأحرق ما بقي منها . بعد هذه الهزيمة كتب الشعراين لصاحب الزنج يعلمه بما صار إليه الحال في مدينته، فانزعج صاحب الزنج فأرسل إلى سليمان بن جامع يحذره إلى ما آل إليه أمر الشعراني .[40]

أما بالنسبة للموفق فبعد دخوله لمدينة المنيعة، توجه إلى الحصن الثاني الذي يقيم فيه سليمان بن جامع والمسمي (بمدينة المنصورة) فكانت مدينة حصينة أقيم حولها خمسة أسوار وأمام كل سور خندق مما أكسبها حصانة ومناعة لفتحها .

(40) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ 6، ص29 .

فقام الموفق أولاً بإعطاء الجند العطاء، وأصلح معسكره، وأصلح السفن والجسور وزاد عدد العمال والآلات المساعدة في ردم الأنهار وإصلاح الطرق للخيل، واهتم بتأمين مواصلاته وسلامة مؤخرته، وبناء السدود .

فبعد هذه الاستعدادات بدأت المعركة بعدة مناوشات بين الجانبين قتل في إحداها الجبائي أحد قادة الزنج، وأمام سور المدينة أحسن أبو أحمد الموفق تعبئة جيشه ونظمه تنظيماً دقيقاً، وصلى اربع ركعات سأل الله فيها النصر، ثم شن هجومه على المدينة فتسلقوا أسوارها، واقتحموا خنادقها، فبذلك استطاعوا هزيمة الزنج وإنقاذ عدد من الأسرى تم إرجاعهم إلى أهلهم، كما استولي الموفق على كميات من الأسلحة والمواد الغذائية والماشية فأمر ببيعها وتوزيع ثمنها على الجند، ومن الملاحظ في هذه المعركة فرار سليمان بن جامع وأصحابه، فأمر الموفق بتشيع من هرب، ووعد من يأتيه منهم بعطيه الأمان ويضمه إلى جيشه .[41] فبذلك ضمن ولاءهم .

ثم تطلعت أنظار أبي أحمد (الموفق) إلى مدينة الأهواز، لأن واليها الزنجي على بن أبان المهلبي قد أشاع فيها الفوضى، فتوجه إليها بعد أن ترك ابنه هارون في واسط، فوصل الأهواز في 2 جماد الآخر عام 267هـ / يناير 881م لإنفاذها من الزنج، وفي أثناء ذلك وصلت الأخبار لصاحب الزنج بسقوط مدينة المنصورة، فخاف على نفسه في مدينة المختارة وامتلأ قلبه رعباً وهلعاً، فرأى ضرورة إحاطة نفسه بكل قواته فأرسل إلى قواده علي بن أبان المهلبي بالأهواز، وقائده بهبوذ بالرجوع إليه فتركوا مناطقهم بكل ما فيها، فهذا التصرف سهل على الموفق دخول الأهواز وفتح الجسور التي

(41) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ 6، ص29 .

أقامها الزنج لعرقلة سير السفن، فاستطاع الاستيلاء على كل منطقة الزنج وطردهم وأعطى الأمان لمن طلبه وأجرى لهم الأرزاق وضمهم إلى جنده، وأشركهم في محاربة صاحب الزنج .[42]

بناء مدينة الموفقيه وحصار المختارة:

بعد استيلاء الموقف على الاهواز لم يبق أمامه سوى مدينة المختارة معقل صاحب الزنج التي تجمع فيها كل قادة الزنج وتحصنوا بداخلها، فزحف عليهم الموفق وأمر ولديه أبي العباس وهارون بالاستعداد للفتح فوصلوه في 15 رجب 267 هـ / فبراير 886م، وقبل وصولهما استأمن على أبي العباس (منتاب) قائد الزنج وهو أول قائد زنجي يطلب الأمان ومعه أصحابه فأمر له الموفق (بخلعه) .

وقبل المواجهة كتب الموفق إلى صاحب الزنج كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة وإلا نابه إلى الله تعالي فيما ارتكبه من سفك الدماء وانتهاك المحارم وخراب البلدان، فرفض صاحب الزنج .فقام الموفق وابنه أبو العباس بحملة استطلاعية لمعرفة قوة عدوه وما تتطلبه حرية من مال وآلات ورجال ومعرفة أنسب المواقع للمعركة، من خلال هذه الحملة وجد أن أن كل الطرق المؤدية إلى مدينة المختارة وعرة وصعبة والمدينة محصنة بالحصون والأسوار والخنادق، فعاد على معسكره يستعد للفتح، وفي أثناء ذلك استأمن أصحاب سميريتين إلى الموفق فأكرمهم وخلع عليهم وألبسهم الحرير الأحمر والثياب البيض، وأمر بأن يحملوا إلى موضع قريب من مدينة الزنج حتى يراهم أصحابهم، فلما رآهم الزنج وما هم عليه من العفو والإحسان رغبوا في الأمان

(42) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مجلد 2، جـ 8، ص349 .

وانضموا بسميرياتهم إلى الموفق، فلما رأى صاحب الزنج ذلك جمع سفنه في نهر أبي الخطيب ووضع حراسة على مدخله، وكان هذا التعرف من الموقف من (انجع المكايد التي كيد بها صاحب الزنج) ثم تتابع استئمان الزنج بأسلحتهم وسفنهم .[43]

فرأى الموفق أن الهجوم المفاجئ لا يفيد مع التحصينات، ففضل التأني وتشديد الحصار الاقتصادي والعمل على تفريق الزنج عن صاحبهم، فكتب في رقاع أن الأمان لكل الزنج أسودهم وأحمرهم إلا الخبيث ووعدهم بالإحسان ورماها في سهام في معسكرهم، فمالت نحوه القلوب فانضموا إليه واستمر الحال على ذلك، والموفق يؤمن الزنج ويضمهم إليه مما أدي إلى إضعاف جيش الزنج وازدياد قوة جيش الموقف .

وفي أثناء الحصار الاقتصادي أقام الموفق معسكره الجديد (المرفقية) بالقرب من مدينة المختارة ليقطع عنها الإمدادات والمؤن وفي نفس الوقت تكون قريبة لمن يريد من الزنج أن يستأمن، وبني بها مسجداً وداراً لضرب العملة، واهتم اهتماماً خاصاً بقضية التموين، وأمن التجارة البحرية فوردت عليها المراكب وبذلك أصبحت مدينة الموفقية أعظم من بغداد وسامرا .

وكذلك رأى الموفق لكي يحكم الحصار على المختارية قطع الاتصال بينها وبين العالم الخارجي فأقام على الأنهار والطرق المؤدية إلى المختارة ما يمنع ورود المؤن غليها، كما أنشأ سوقاً بالبصرة للأعراب يتبادلون فيه السلع

---

(43) الطبري: جـ 9، ص582 – ابن خلدون: العبر، جـ 3، ص321 – ابن الأثير: الكامل، جـ 6، ص 332 .

بدلاً عن مدينة المختارة، وبذلك انقطعت وسائل التموين عن مدينة الزنج براً وبحراً .

وحاول الزنج فك الحصار فقاموا بغارة انتحارية على قوات الموفق قوامها عشرة الف جندي، إلا أن قوات الموفق بقيادة زيرك التركي من القضاء على الغارة، وأصبح الزنج ما بين قتيل وغريق وأسير، فبذلك ضاقت الحال بالزنج وهم يرون أصحابهم ما هم عليه من أمان، فصاروا يتسارعون باللحاق بالموفق، لذلك حاول صاحب الزنج منعهم فوضع على كل مسلك أو نهراً حراساً لمنعهم، ولما رأى أصحابه تضيقه عليهم في الخروج أرسلوا إلى الموفق يطلبون منه إرسال جيش لحربهم حتى يجدوا الوسائل التي تمكنهم من الخروج، وهؤلاء قاموا بدور خطير بكشف خطط الزنج ومواقع كمائنهم إضافة إلى معرفتهم بمسالك ودروب مدينة المختارة فاستفاد منها الموفق استفادة قصوى .

حرب مدينة المختارة وسقوطها:

أدي الأحكام الاقتصادي والعسكري مفعوله وأثره، فبدأ الموفق في شن هجماته على مدينة المختارة الهدف منها أن تكون هجمات استنزافية لتخريب الجسور وإحراق القناطر وإزالة وسائل الدفاع في ذي الحجة 267 هـ / 881م، ونجح في اعتلاء سورها وتمكن من دخولها وإحراق ما على السور من آلات وأسلحة ثم رجعوا في نفس اليوم .[44]

وفي 16 ربيع الآخر 267 هـ / 882م قام بهجومه الثنائي وأمر أصحابه بهدم السور وألا يدخلوا المدينة فنجحوا في الهدم ودخلوا المدينة

[44] ابن الجوزي: المنتظم، جـ5، ص59 .

مخالفين أمر الموفق وتوغلوا فيها فتشعبت بهم الطرق فضلوا طريقهم فحاصرهم الزنج وهزموهم هزيمة فادحة، فجمع الموفق قواد هذه الحملة فعزلهم وتوعدهم بأغلظ العقوبة وأحصى المقتولين وأجرى مرتباتهم لأولادهم وأهاليهم[45]

ونسبة لازدياد عدد المستأمنين رأى الموفق أن يتخذ له معسكراً على الجانب الغربي لنهر دجلة لتعذر عبوره وقت الرياح وارتفاع الأمواج واستمات صاحب الزنج للحيلولة دون اتمام الخطة التي وضعها الموفق لما يترتب عليها من نتائج سيئة فيها ضياع وفساد لكل أمره. إلا أن الموفق ركز جهده في هدم سور المختارة ونجح في ذلك ودخل المدينة واستولي على كثير من خزائن صاحب الزنج، بعد أن أبدي الزنج أمامه من ضروب البسالة والشجاعة ما يفوق الوصف . وأصبح النصر قريباً لولاء أن الموفق أصابه سهم في صدره فحال بينه وبين إتمام النصر واضطر إلى الرجوع إلى معسكره لعلاج جرحه .[46]

وفي أثناء تلك الأحداث وصلت إلى الموفق أنباء بأن أخاه الخليفة المعتمد ترك سامراء هارباً إلى أحمد بن طولون والى مصر، فأمر الموفق اسحق بن كنداج عامل الجزيرة والموصل بالقبض عليه .[47] كان هذه الأحداث أثر كبير في تأخير فتح المختارة، فانتهزها الزنج في إعادة بناء ما تهدم من السور وتحصين المدينة .

---

(45) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 11، ص42 .

(46) الطبري: جـ 9، ص619 .

(47) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 11، ص42 .

إلا أن الموفق بعد أن برأ جرحه وانتهت مشكلة الخليفة عاد إلى حرب الزنج، ففي 19 شعبان 269 هـ / فبراير 883م تمكن من هدم السور واحراق المدينة مرة أخرى، واحراق بعض قصور الزنج وتحرير عدد كبير من الأسرى، وتفاني الزنج في الدفاع عن مدينتهم وصاحبهم دفاع المستميت وفي أثناء هذه الاحداث مرض الموفق فتوقفت الحرب لمدة شهر فبدأ الزنج في إعمار المدينة. وبعد شفاء الموفق تمكن من هدم ما بناه الزنج، فهرب صاحب الزنج فتعقبته جيوش الموفق، فدارت معارك حامية قتل فيها من الطرفين الكثير وحالف النصر الموفق ورجع إلى مدينة الموفقية، فعاد الزنج إلى عاصمتهم ومعهم صاحبهم .[48]

سقوط مدينة المختارة:

زاد طالبو الأمان من الموفق بأعداد كبيرة، كما أراد ابن صاحب الزنج اللحاق به والاستئمان إليه فقتله والده، وأرسل ابنه الثاني يطلب الأمان من الموفق فأجابه ولكن أباه تمكن من أن يثنيه عن عزمه . كما طلب قائد الزنج سليمان بن موسى الشعراني الأمان فأعطى له بعد كردر من الموفق لما فعله بالمسلمين، كذلك أعطى الأمان لشبل بن سالم فأصبح قائداً في جيشه .

ورغم ذلك أراد الموفق أن يختبر الزنج فجمعهم وخطب فيهم وأوضح لهم أنه مقدم على دخول مدينة المختارة وأنهم أدري بمسالكها وطلب منهم دخلوها، إلا أنهم طلبوا منه أن يجعلهم فرقه واحدة حتى يثبتوا له صدق

(48) ابن الأثير: الكامل، جـ 6، ص48 – 51 .

نواياهم فأجابهم .[49] وبذلك أصبحت الظروف مهيئة لفتح المختارة، فأخذ يعد العدة من تجهيز قواته وجمع السفن وقواته المنتشرة في دجلة والبطيحة ورتب جيشه ترتيباً يدل على مقدرة فائقة في أمور الحرب، مكنه هذا الإعداد من دخول مدينة المختارة عاصمة الزنج وإحراق قصر صاحبها ومخازن التموين ثم رجع الموفق إلى معسكره فعاد إليها صاحب الزنج .[50]

وبعد ذلك أخذ الموفق يعد العدة لمعركته الأخيرة للقضاء على حركة الزنج فقام بإعداد الأسطول ونظم المشاة بالطريقة التي تضمن لخطته النجاح، فزاد عدد الفرسان لمعرفتهم لمدينة المختارة ووزع جيشه على جبهة واسعة، وأمر الجميع بالزحف في وقت واحد عند إعطاء إشارة الهجوم بالنفخ في البوق وتحريك العلم الأسود، وتقابل الجيشان في معركة حامية انهزم فيها الزنج، واستولى جند الموفق على مدينة المختارة وغنموا ما فيها وأطلق سراح الأسرى وهرب صاحب الزنج إلى موضع لهم على نهر السفياني تم إعداد لمثل هذا اليوم، فتتبعه جنود الموفق بقيادة لؤلؤ إلا أن الموفق أمرهم بالرجوع، ثم قام الموفق بإصلاح سفنه وترتيب جيشه لمدة أربعة أيام انتهزها الزنج للرجوع إلى مدينتهم، وفي 2 صفر عام 270 هـ هاجم الموفق الزنج وتمكن من أسر قوادهم "سليمان بن جامع وإبراهيم الهمداني ونادر الأسود" وما لبث أن جاءه أحد أصحاب لؤلؤ برأس صاحب الزنج فعرض عليهم فتعرفوا عليه فسجد الموفق ومن معه شكراً لله ورفع رأسه على رمح ليعرف الناس الخير . وبعد الانتهاء من كل المعارك السابقة، أصدر الموفق نداءاً لأهالي المناطق

---

[49] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 11، ص43، 624 .

[50] الطبري: جـ 9، ص649 – 650، 654، 655، 328 .

التي خربها الزنج كالبصرة ودجلة والأهواز وواسط وما حولها بالرجوع إلى أوطانهم، وأمنهم على أنفسهم . [51]

وبمقتل صاحب الزنج انتهت ثورته التي شغلت الخلافة العباسية أربعة عشر عام وأربعة أشهر وستة أيام من 26 رمضان 255 هـ إلى 2 صفر عام 270 هـ، واستحق الموفق بعدها أن يلقب بلقب الناصر لدين الله.[52]

[51] الطبري: نفس المصدر، ص659 – 660 – الذهب: دول الإسلام، جـ1، ص128 .

[52] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ11، ص44 .

الخاتمــة:

من أهم النتائج التي خرج بها البحث الآتي:

1/لم يكن للحركة هدف سياسي أو اجتماعي شامل يحدد العلاقة بين اتباعها أو بين الطوائف الأخرى في المجتمع .

2/لم يخطر ببال صاحب الزنج أن ثورته سوف تقلب النظام .

3/لم تهدف الحركة إلى إلغاء الرق في المجتمع بل كل ما وعد به صاحب الزنج في أول بيان لثورته تحرير العبيد وتمليكهم العبيد والأموال .

4/إن صاحب الزنج لم يكن علوياً ولا خارجياً – بل كان مغامراً جعلته المغامرة يكتب اسمه في التاريخ، لذلك لم يكن ثابت المذهب والأسلوب، بل اعتنق عدة مذاهب واتخذ عدد منم الأساليب التي تكفل لثورته النجاح، فكان رجلاً لا تهمه الوسيلة بقدر ما تهمه الغاية .

5/إن روح المغامرة كانت شائعة في العصر العباسي الثاني بين معظم طبقات المجتمع خاصة الطبقات الكادحة، يتضح ذلك من تباين نوعيات إتباع صاحب الزنج والذين اشتركوا معه بدافع المغامرة .

6/اتضح أن الزنج لم يكن التفافهم حول علي بن محمد من أجل نسب ادعاه أو مذهب المتنقه بل كان هدفهم الحركة على أسيادهم لإصلاح حالهم بأي طريقة ومع أي إنسان وعلى أي مذهب، والدليل على ذلك أنهم كانوا مخلصين لصاحب الزنج طالما كان النجاح حليفة وحليفهم .

قائمة المصادر والمراجع

1/القرآن الكريم .

2/ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن عبد الحميد بن هبه الله المدائن، شرح نهج البلاغة، مج2، جـ8، القاهرة: مصطفي البابي الحلبي، د: ت

3/ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ4، القاهرة: المطبعة المنيرية، 1357هـ .

4/ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الحوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الهند / حيدر أباد، 1358 هـ .

5/ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1284هـ

6/ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، القاهرة: مطبعة الموسوعات، 1317 هـ

7/ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، 1966 .

8/أحمد سهيل: حركة الزنج وقائدها علي بن محمد، بيروت: مكتبة الحياة، 1961م .

9/الأصطخرى: ممالك المسالك، تحقيق محمد جابر الحسيني، القاهرة: الإدارة العامة للثقافة، 1961م .

10/البيروتي: الآثار الباقية من القرون الخالية، بغداد: مكتبة المثني، 1923م .

11/الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر: الملل والنحل، تحقيق سيد الكيلاني، القاهرة: مطبعة الباب الحلبي، 1961م .

12/الذهبي: الحافظ شمس الدين: دولة الإسلام، حيدر أباد: المطبعة الأولي، 1377هـ
13/الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، جـ9، القاهرة، دار المعارف، 1968م
14/القيرواني: أبو اسحق القيرواني: زهرة الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك، القاهرة: المكتبة التجارية، 1925 م .
15/المسعودي: مروج الذهب يومعادن الجوهر: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بغداد: المكتبة العصرية، 1938م .
16/سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1967م .
17/بطرس البستاني: دائرة معارف البستاني .
18/ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الحمدي الرومي: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1957م .